عوامل الهدوء في الأسرة وعدم استقرارها من خلال دراسة سورة يوسف (بناءاً على المصادر التفسيرية)

الأستاذ المساعد سيد محمد حسين ميري
عضو الهئية العلمية قسم المعارف الإسلامية، جامعة خوزستان للعلوم الزارعية والمنابع الطبيعية، إيران
miri@asnrukh.ac.ir
الأستاذ المساعد عبد الهادي صالحي زاده
عضو الهئية العلمية قسم المعارف الإسلامية، جامعة خوزستان للعلوم الزارعية والمنابع الطبيعية، إيران
salehizadeh@asnrukh.ac.ir
الباحثة راضية حامدي
ماجستير علوم القرآن والحديث، كلية الأديان دزفول، إيران

Relaxing and anti - calming components in the family in Surah Yusuf

Seyyed-mohammadhosein Miri
Faculty member and assistant professor of Islamic education group of Agricultural Sciences and Natural Resources University of Khuzestan , Iran
Abdolhadi Salehizadeh
Faculty member and assistant professor of Islamic education group of Agricultural Sciences and Natural Resources University of Khuzestan , Iran
Razieh Hamedi
Master of Quranic and Hadith Sciences , Dezful Faculty of Religions , Iran

الملخص:-

يعدُّ الهدوء وعوامل ظهوره من أهم القضايا التربوية في مجال الأسرة. وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الضرورة بأسلوب كلاميّ وقصصيّ. يعالج هذا المقال عوامل الهدوء وعدم الهدوء في الأسرة ويقوم بتحليلها بناءً على آيات سورة يوسف. في هذا المقال تمت دراسة العوامل الهدوء وعدم الهدوء لعائلة النبي يعقوب a وأسرة عزيز مصر باستخدام المنهج الوصفي والتحليلي واعتماداً على المصادر التفسيرية الصحيحة، وتم الحصول على هذه النتيجة أنّ الحسد بين أفراد الأسرة والنظرة التمييزية العاطفية بين الأبناء، وعدم إنجاب الأطفال وعدم العلاقات الحميمة بين الزوج، والخيانة الزوجية وعدم الصدق والأمانة بين الزوج هي من العوامل التي تزعج الأسرة وتسلب الهدوء منها. ومن ناحية أخرى، بالإضافة إلى إزالة العوامل المذكورة، إنّ ذكر الله دائماً، وعصيان أوامر النفس الأمّارة، واظهار الندم على أخطاء بعضنا البعض، والتسامح وغض النظر عن أخطاء بعضنا البعض، والتوبة والاعتذار إلى الله، واحترام الوالدين في كل موقف وحالة، والتواضع والاحترام المتبادل يعتبر من عوامل هدوء الأسرة واستقرارها.

الكلمات المفتاحية: النبي يوسف، الأسرة، التدرّب، الإسترخاء، التفسير.

Abstract:-

One of the most important educational issues in the field of family is peace and its origins. The Holy Qur'an has spoken of this necessity, both in word and in story. This article examines and analyzes the soothing and anti-relaxing factors in the family based on the verses of Surah Yusuf. In this article, using descriptive and analytical methods and using reliable interpretive sources, sedative and anti-sedative factors in the family of Yaqub Nabi (PBUH) and the dear family of Egypt have been studied and it has been concluded that jealousy between Family members, the perception of emotional discrimination between children, lack of childbearing and intimate relationships between couples, infidelity and dishonesty between couples are among the anti-peace factors of the family. Expressing remorse for each other's mistakes, forgiving and forgiving each other's mistakes, repenting and apologizing to God, and respecting and bowing to parents in any position and situation, and mutual humility and respect are the soothing and stabilizing factors of the family.

Keywords: Joseph, family, upbringing, tranquility, interpretation.

بيان الموضوع:

تعتبر الأسرة هي النواة الأولى والمركزية للمجتمع. لقد مر هذا المركز بفترات تاريخية مختلفة، بالإضافة إلى تطوراته وتعقيداته، فهو يشير إلى حاجة البشر إلى والزمالة، وكذلك الحاجة إلى بقاء الجنس البشري. إنّ القرآن الكريم قد أولى اهتماماً خاصاً بموضوع الأسرة في العديد من آياته. في علوم القرآن الكريم، تم الإهتمام بأساس الأسرة ومختلف مجالاتها. بالإضافة إلى ذلك، قد تم ذكر أمثلة على سيرة حياة العوائل المختلفة وتاريخها.

من أهم المجالات التي تم تناولها صراحةً وضمناً في العديد من آيات القرآن الكريم هو مجال قضايا التربوية الأسرية وعوامل استقرارها وعدم استقرارها. فمن أهم عوامل الاستقرار الأسري هو الحفاظ على الهدوء الأسري في مواجهة الأحداث والكوارث وأيضاً مواجهة المشاكل. يتحدث القرآن الكريم عن هذه الضرورة لفظيا وفي شكل الحكايات، وقد وصف تكوين الأسرة كآية من آيات الله موضحا أن الإقامة والهدوء عنصران أساسيان في الحفاظ على أسس الأسرة وبقاءها. وعلي هذا الأساس فإن الموضوع الرئيسي لهذا المقال هو دراسة وتحليل عوامل الهدوء في الأسرة وعدم الهدوء من منظور القرآن الكريم.

إنّ قصة النبي يوسف a تعتبر من القصص القرآنية الأكثر تفصيلاً، والتي يمكن اعتبارها أيضاً قصة عائلة يعقوب a ، لذلك، من العوائل المذكورة في القرآن الكريم قد تمّ التركيز على عائلة النبي يعقوب a في سورة يوسف في هذا المقال، لأنه بالإضافة إلى أن قصة يوسف قد عبّر عنها القرآن الكريم بأنّها ((آيات للسائلين)) قد تم تناولها بتفصيل أكثر بالنسبة لعوائل أخرى، وأن موضوع الهدوء في الدراسة القرآنية لسورة يوسف واضح تماماً. في هذه السورة، يمكن تتبع سرد كامل لأبناء يعقوب (كيوسف نفسه a) من الطفولة إلى منتصف العمر. كما يمكن رؤية عوامل الهدوء والقلق فيها بشكل أوضح.

قد تم استخدام الأسلوب الوصفي التحليلي في هذا المقال، وتم جمع البيانات والمعلومات من مصادر تفسيرية موثوقة ومن ثم تم تحليل آثارها والتعبير عنها في شكل مقترحات وصفية. ومن الكتب التفسيرية، كان هناك تركيز أكبر على تفسير الشريف الميزان. ووفقاً لما سبق، فإنّ مسألة الأساس في هذا المقال أنّ: ما هي أسباب الهدوء للأسرة وعدم هدوءها من منظور الأقوال الإلهية في سورة يوسف؟

إنّ الهدّف المتوخّي من هذه المقال هو الحصول على العوامل التي تشكل الهدوء والأسباب المدمّرة للهدوء في الأسرة. يتمثل ابتكار هذا البحث في تقديم تركيبة جديدة من عوامل هدوء الأسرة أو عدم هدوءها على المعايير التي يمكن استنتاجها من سورة يوسف.

١. التحليل السلوكي لعائلة يعقوب النبي a

وبحسب تصريحات العلامة الطباطبائي في تفسيره الشريف الميزان، فإن الغرض من هذه السورة هو التعبير عن ولاية الله على عبده، بالطبع عبده الذي طهر إيمانه وملأ قلبه بحبه. فإنّ حكاية قصة يوسف a في هذه السورة كالتالي: فقد كان عليه‌السلام عبدا مخلصا في عبوديته فأخلصه الله لنفسه وأعزه بعزته وقد تجمعت الأسباب على إذلاله وضعته فكلما ألقته في إحدى المهالك أحياه الله تعالى من نفس السبيل التي كانت تسوقه إلى الهلاكة: حسده إخوته فألقوه في غيابة الجب ثم شروه بثمن بخس دراهم معدودة فذهب به ذلك إلى مصر وأدخله في بيت الملك والعزة، راودته التي هو في بيتها عن نفسه واتهمته عند العزيز ولم تلبث دون أن اعترفت عند النسوة ببراءته ثم اتهمته وأدخلته السجن فكان ذلك سبب قربه عند الملك، وكان قميصه الملطخ بالدم الذي جاءوا به إلى أبيه يعقوب أول يوم هو السبب الوحيد في ذهاب بصره فصار قميصه بعينه وقد أرسله بيد إخوته من مصر إلى أبيه آخر يوم هو السبب في عود بصره إليه وعلى هذا القياس وبالجملة كلما نازعه شيء من الأسباب المخالفة أو اعترضه في طريق كماله جعل الله تعالى ذلك هو السبب في رشد أمره ونجاح طلبته. (طباطبايي، ١٣٧٨، ج١١: ٢٣٥-٢٢٥).

يظهر التحليل السلوكي لأسرة يعقوب النبي i في السورة هو قلة الهدوء بين بعض أفراد الأسرة، والتي يمكن اعتبارها من علامات هذا الاضطراب في الحالات التالية:

١. لايستحقّ إخوة يوسف أن يسمعوا رؤيا شقيقهم الأصغر. إنّ في الأسرة الهادئة، يمكن اعتبار جميع أفراد الأسرة يستحقّ سماع الأخبار والأحداث، وعندما يتعلق الأمر بكونهم غير مستحقين، حتى لو كانت أخبارًا خاصة يطرح (هناك أيضاً موضوع الاضطرابات النفسية). يعقوب a ينصح ابنه ويقول: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف/ ٥) ومن الواضح أن المكر والتخطيط لا علاقة لهما بدعة النفس وراحة البال.

٢. قد اتهم إخوة يوسف والدهم بأعمال غير عقلانية وخاطئة، بل يتحدون أيضًا عدالة والدهم ومساواته. (رشيد رضا، ١٣٨٧، ج ١٢: ١٨٠) وليس مع الشك والاحتمال، ولكن مع اليقين والتأكيد: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف/ ٨). فإنّ هذا الاحتجاج على سلوك الأب هو صدي لاضطراب والد الأسرة.

٣. إنّ الإخوة يخطّطون على قتل يوسف برادران(يوسف/ ٩) وفي نهاية المطاف يلغونه في البئر (يوسف/ ١٥) ويباع بثمن بخس إلى قافلة (يوسف/ ٢٠). وهذا الأمر أيضاً يدلّ على عدم استقرار هذه العائلة بوضوح.

٤. عندما يذهب الإخوة إلى أبيهم ليقنعوه أن يرسل معهم يوسف، يقول يعقوب: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف/ ١٣). إنّ عدم ثقة يعقوب بأبناءه في هذه الحكاية لما عرف عنهم من الأذى والدهاء، كان يبعد يوسف عن الوقوع في مصيدة دهاءهم، واستعمال ألفاظ الحزن والخوف في هذه الآية يكشف عن القلق والاضطراب بشكل واضح.

٥. إنّ خداع الأبناء عندما جاؤوا أباهم يبكون (يوسف/ ١٦) كما كانوا يتكلّمون عن عدم ثقة الوالد بهم قبل أن يتكلّمون عمّا حدث (يوسف/ ١٧) ومشاهدة الوالد القميص الملطّخ بالدماء كذباً (يوسف/ ١٨)، هي من علامات عدم استقرار الأسرة.

هذه السلوك التي تستمرّ من حداثة يوسف إلى كبره، هي رواية عن اضطرابات عائلة يعقوب a ، العائلة التي يذوب ويحترق فيها الوالد من شدّة الفراق دائماً وهو يذرف الدموع وأبناءه يلومه كما كانوا يكتمون الواقع.

٢ـ عوامل عدم الهدوء في عائلة يعقوب a

٢-١. حسد أفراد الأسرة وأسباب ظهوره في عائلة يعقوب a

إنّ يوسف قد رأي في المنام حلماً خاصاً عندما كان طفلاً، وقبل أن يروي حلمه لإخوته كالأطفال الآخرين، أخبر والده.

(جعفري، ١٣٧٦، ج ٥: ٣٤). مع أنه ربما كان يحلم مرتين، وتكرار كلمة رأيتُ يدل

على ذلك، و كان في الرؤيا الثانية قد رآهم ساجدين. (ثقفي تهراني، ١٣٨٦، ج ٣: ١٦٥). ربما الأب لا يريد أن يروي الرؤيا الثانية. على أي حال، يمكن أن يكون هذا علامة على ذكاء يوسف، وبالتالي فإن نصيحة الأب بالامتناع عن سرد الرؤيا لإخوة يوسف يمكن أن تكون تأكيداً على الإستنباط الأولى الذي توصل إليه يوسف بأنه لا ينبغي عليه إبلاغ الإخوة. وبالطبع، كان الإخوة الذين لا ينبغي إخبارهم عن الرؤيا إخوة غير أشقاء (جزايري، جابر، ١٤٢٤ ق، ج ٢: ٥٤).

ولكن الحكمة الأساسية من هذه النصيحة هي أن يعقوب قد أدرك بالفعل حسد إخوة يوسف تجاهه، وبعد سماع رؤيا يوسف أنه سيغار من قبل إخوته وأنهم سيظهرون سلوكاً مؤذياً تجاه أخيهم الأصغر، فقد منعه من إخبارهم الرؤيا. وقد احتمل البعض أيضاً أن إخوة يوسف كانوا على علم بتفسير الرؤيا (ايجي شيرازي، محمد بن عبدالرحمن، ١٨٧٩ م. ج ٢: ٢١١). وجدير بالذكر أنّ يوسف عند رؤية الحلم في السن الخامسة من العمر (ثقفي تهراني، ١٣٨٦، ج ٣: ١٦٥).

إن جذور هذا الحسد، بناءً على ما هو متوفّر من القرآن الكريم، لا يمكن تتبعه بالكامل ويمكن الاستشهاد به، لأنّ هذا الحسد قد ظهر في مجالات مختلفة قبل حلم يوسف ولهذا قد تجنب يعقوب a إخبار طفله عن سرد حلمه لإخوته. في الواقع، قد يكون إخوة يوسف قد عبّروا علنًا عن حسدهم من يوسف قبل أن يحدث الحلم، سواء في العمل أو في حديثهم أو شجارهم الطفولي، وهذا ما دفع يعقوب إلى التوقع والتفكير في حل ومنع يوسف من إعادة سرد قصة الحلم لإخوته.

تبدو خلفية هذا الحسد (التي تسبب بحسب هذا البحث نوعاً من الاضطراب النفسي في الأسرة وتحرمها من الوحدة والهدوء) ستكون أكثر وضوحاً من منظر هذه الآية الكريمة: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف/ ٨). إنّ ركيزة الأساس في هذه العبارة التي تعكس سبب الحسد هو الحب الخاصّ ليوسف (وشقيقه بنيامين) عند الوالد بالنسبة لسائر أبناء يعقوب. بما أن يوسف كان محروماً من الأم عند وقوع هذا الأمر ولم يكن أبناء يعقوب جميعاً من أم واحدة، وكان يعقوب يمتلك العديد من الزوجات، أو أن حبّه الخاصّ لأحد الأطفال لدي الأم وهو يساوي الحبّ الخاص لأحد الأبناء لدى الأب

لم يكن أمراً غريباً. إنّ حبّ الخاصّ ((إلى ابينا)) كان أمراً واقعاً، وليس أم العائلة أو غيرهم ممن كانوا يفضلون يوسف على الإخوة الآخرين بدافع الحبّ.

ربما الفلسفة الأخرى لهذه الحساسية لم تكن حساسية عاطفية بل حساسية عددية. أي إخوة يوسف الذين كانوا أحد عشر شخصاً، قالوا كيف يفضل الأب طفلين على أحد عشر رجلاً. (جزايري، جابر، ١٤٢٤ ق. ج ٢: ٥٥). كما يفهم من نص الآية أن الأسرة المعنية كانت تعيش بطريقة تقليدية تماماً ولم يكن هناك منزل منفصل لكل من زوجاته وأولادهما؛ لأنّ مشاركة جميع الإخوة والحضور العام في أسرة واحدة يمكن أن يجعل الإخوة يركزون ويشعرون بالحساسية تجاه سلوكيات الأب ويرصدون العلاقة العاطفية والخاصة بين يوسف والأب. لذلك، في سورة يوسف التي تتحدث عن حبّ الأب الخاصّ لأحد الأبناء والذي تسبب حسد الأبناء الآخرين، من الممكن أن يفهم منها أسلوب حياة تقليدي تماماً. (رشيد رضا، ١٣٨٧، ج ١٢: ١٨٠).

٢-٢. التمييز العاطفي بين الأبناء وأسباب ظهورها

ليس من الواضح ما إذا كان يعقوب لديه بنات أم لا؟ لكن القرآن يخبرنا فقط عن أبناء يعقوب في هذه السورة. يمكن أن يقسّم هؤلاء الأبناء إلى قسمين (بدلاً من ابنة وابن) إلى عصبة وغير عصبة من جهة وإلي قسمين من جهة العلاقة العاطفية الأكثر والأقل من ناحية الأب. قد احتجّ أبناء يعقوب على أنه بالرغم من كونهم أقوياء (وكما جاء في القرآن عُصبة) إلا أن الأب يحب يوسف وأخيه أكثر؟ كما قاموا بتحدّي الأب في صفة "الإنصاف" الأخلاقية. (محمد حمزه، محمود و همكاران، ١٣٧٣ ق، ج ٣: ١١٠).

وجدير بالذكر أنّ مفردة ((العُصبة)) بمعني الفتية الأقوياء لقد أستخدمت أيضاً في حكاية قصّة قارون في القرآن الكريم. عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (قصص/ ٧٨).

مع أنّ القرآن الكريم قد أضاف عبارة ((اولي القوه)) هنا ولكن نفس مفردة ((العصبة)) تدلّ على قوّة فئة من الرجال. ربما كان حاملو كنوز قارون (كما يسميهم القرآن عصبة) أقوى من أبناء يعقوب من حيث القدرة والقوة، ومن هنا وصف أبناء يعقوب بأنهم

عصبة أو نوع من المبالغة من جانبهم، أو القدرة على القيام بالعمل المنوط بهم وهو رعي المواشي، وعادة ما يعتبر هذا العمل من عمل الشباب الأقوياء أو العصبة. ويمكن أن يفهم اهتمام أبناء يعقوب بالرعي في سورة يوسف من مفردات ((يرتع و يلعب)) وأيضاً رواية قصة ذئب في الصحراء.

قد ذكرت هذه الملاحضات للكشف عن عامل آخر للقلق (يمكن البحث عنه بدقة معجمية). من وجهة نظر إخوة يوسف، كان هذا العامل هو الحب غير المعقول للأب، وليس حب الأب المفرط. بعبارة أخرى، لم يتمكنوا من إيجاد سبب وجيه لهذا الحب المفرط، بينما كان لديهم سبب آخر بموجبه، كان يجب على الأب إظهار المزيد من الحب للأخوة الآخرين، وليس ليوسف وأخيه الأصغر فحسب؛ لماذا؟ لأنّ الإخوة العصبة[1] هم فئة متفاعلة وأقوياء كانوا يعملون برعي المواشي وكانوا متورطين في توفير ما يحتاجه الحياة، وكانوا خلفاً للأب في الزراعة وتأمين المؤونة، وكانت أعمالهم وخدماتهم في مستوى أعلى.(جعفري، ١٣٧٦، ج ٥،: ٣٤٨) وفي الوقت نفسه، لم يحبهم الأب (كما كانوا يتوقّعون) وكان يهتمّ بيوسف وشقيقه الأصغر بشكل أفضل. ولهذا الأمر أخذوا يقولون إن سلوك الأب خاطئ: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف/ ٨).

ولكن لماذا أحب يعقوب a يوسف أكثر من أبناءه الآخرين؟ قد ذُكر لهذا الأمر سببين: كان السبب الأول طفولة يوسف وأخيه؛ لأن الآباء عادة ما يولون المزيد من الاهتمام للأطفال الأصغر سناً كما الحال بالنسبة للأبناء الذين أصيبوا بالمرض أو سافروا (رشيد رضا، ١٣٨٧، ج ١٢: ١٨٠).

إنّ العلامة الطباطبائي لا يقبل هذا السبب. لأنه يعتقد أن هذا العمل له أساس عرفي وهذه المسألة أمر طبيعي، كما أن إخوة يوسف قد نالوا حب والدهم الخاص عندما كانوا صغاراً. (صفوي، ١٣٨٨: ٢٣٦) ولهذا لا يبقي مجالاً للإحتجاج.

بالطبع، يمكن للمرء أن يتأمل نقد العلامة الطباطبائي. لأن طبيعية السلوك تبرر صحة السلوك، ولا تبرر سوء القراءة وانتقاد السلوك؛ لهذا السبب، يمكن للمرء أن يتخيل سبب حب يعقوب الخاص لأطفاله، لكن الطبيعة العرفية للسلوك لا يمكن اعتبارها سببًا قويًا لرفض نقد سلوك يعقوب المحب تجاه يوسف؛ عندما لا يلتزم إخوة يوسف بالقواعد العرفية

ويأخذونه إلى الصحراء بالخداع ويخدعونه في بئر ويظهرون قميصه الدموي المزيف لأبيه والدموع في عينيه ويستمرون في العيش بنفس الطريقة، ثم هي القواعد المعتادة، وهم لا يحبون ذلك، وبالتالي فإن الطبيعة العرفية لمزيد من الحب للطفل الأصغر لا يمكن اعتبارها سبباً للنقد الخاطئ لسلوك يعقوب من قبل الأولاد.

بالطبع، يمكن أن نتأمل نقد رأي العلامة الطباطبائي. إنّ طبيعية السلوك تبرر صحته، ولا تبرر سوء القراءة وانتقاد السلوك؛ لهذا السبب يمكن للمرء أن يتخيل سبب حب يعقوب الخاص لأبناءه، لكن الطبيعة العرفية للسلوك لا يمكن اعتبارها سبباً قوياً لرفض نقد السلوك المحب ليعقوب تجاه يوسف؛ عندما لا يلتزم إخوة يوسف بالقواعد العرفية ويأخذونه إلى الصحراء بالخداع ويجعلونه في البئر ويظهرون قميصه الدموي المزيف لأبيهم وهم يذرفون الدموع ويستمرون في العيش بنفس الطريقة، فإنّهم لا يحبون القواعد العرفية، ولذلك فإن الطبيعة العرفية لمزيد من الحب للطفل الأصغر لا يمكن اعتبارها سبباً للنقد الخاطئ لسلوك يعقوب من قبل الأولاد.

وأمّا السبب الثاني الذي يحبّذه العلامة الطباطبائي هو وجود كمالات خاصة في يوسف، والتي غذت هذا الحب المتزايد (المرجع نفسه)، والحلم الذي يراه يوسف يعكس هذه الكمالات الخاصة جيداً، ويعقوب يدرك مستقبل يوسف المشرق (رشيد رضا، ١٣٨٧، ج ١٢: ١٧٦) يشعر بالقلق من هذه الرؤيا ولكن النقطة هي أنّ هل كان إخوة يوسف يعلمون هذه الكمالات الخاصّة حتى يحسدونه؟ وفقاً للقرآن الكريم، إنّ يعقوب بعد سماع حلم يوسف يمنعه ويبشّره بقضيّة، يمنعه من سرد الحلم للإخوة ويبشره بأنّه يبعث نبياً.

على أي حال، إنّ السبب التمييز العاطفي قد جعل أسرة يعقوب تضطرب وبالتالي قد تعرض الهدوء النفسي للمخاطر.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الشكل التقليدي لإدارة الأسرة قد يمكن أن يكون سبباً لبعض العواقب، فإن شكلاً آخراً لها بأنّ كل من الوالدين والأبناء، أو أركان الأسرة أي الزوجان أن يكونا بعيدين جداً عن بعضهما البعض حيث لا يمكن تكوين صداقات وطيدة أو تحدث لقاءات جديدة، وهذا الأمر يمكن أن يسبب البؤس والتعاسة في الأسرة ويطغى على راحة البال والهدوء.

٣. أسباب عدم الهدوء في أسرة عزيز مصر

يُباع يوسف كعبد في سوق مصر، وتطرح العائلة نفسها أيضاً، وهي عائلة يمكن فيها رؤية الاضطرابات والقلق بوضوح والتعبير عنها؛ عائلة عزيز مصر. يمكن إدراج عوامل عدم الاسترخاء والهدوء بين أفراد الأسرة في الحالات التالية:

٣-١. عدم انجاب الأطفال وقلّة العلاقات الحميمة

عندما ألقي موسى في النيل، عندما وصل إليه فرعون وزوجته تحدثا عن خطة تبنيه. كما أنّ يوسف عندما اشتراه عزيز مصر، نفس الخطة تطرح. لذلك فمن الممكن أن أسرة عزيز مصر لم يكن لديها طفل فأرادت أن تتبناه.

هذا هو المكان الذي تظهر فيه علامات الاضطراب في الأسرة. في العوائل التي لا تتم فيها تجربة الإنجاب، أو لا يتمّ تجربة الإنجاب بسبب وفاة الأطفال في وقت مبكر، هناك دائماً نوع خاص من الأجواء العاطفية التي توجد فيها علامات الندم من ناحية والقنوط من ناحية أخرى، ويشاهد الغربة والوحدة في نهاية الحياة من جهة أخرى. وهذا الجو سيكون ضاراً جداً لهدوء العائلة وراحة البال.

وباختصار، يمكننا أن نشير إلى قصة زكريا وزوجته التي وصفها القرآن، قبل أن تنجب زوجة زكريا طفلاً بـ "إمرأة زكريا": ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم/٨) ولكن عندما تريد أن تصبح هذه الإمرأة العاقر أمّاً ليحيي يتحدّث: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الانبياء/٩٠) ويطلق على ((الإمرأه)) لفظ زوج. جدير بالذكر أنّ الزوج سبب للسكينة وراحة البال لأنّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم/٢١) إذا لم يكن هناك إنجاب الأطفال، يبدو أنه لم يكن هناك أي تهدئة عملية وعلنية في الزواج، لذلك يدعو القرآن زوجة زكريا إمرأة قبل أن تنجب طفلاً وليس زوجاً. (مريم/ ٥ و آل عمران/ ٤٠).

ويذكر القرآن الكريم هنا: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ ولا يقول: ((لزوجه))، قد يشير هذا التفسير إلى أن زليخا لم يكن لديها أطفال، وأضاف أن عدم إنجاب الأطفال يمكن أن ينهار راحة البال في الأسرة.

٣- ٢. الخيانة و قلّة الولاء

لكن اضطرابات أسرة عزيز مصر (حتى لو لم تكون بدون أطفال) يمكن أن يكون عاملاً آخر لها قد أشار إليه القرآن الكريم:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ...﴾ (يوسف/ ٢٣) تعود القصّة إلى خيانة زليخا. إنّ خيانة زليخا لزوجها عزيز مصر ربما تسبب أن ينسب عرضاً غير قابل للتعميم لجميع النساء وهو بسبب افتقاره للسيطرة الفكرية والضغط النفسي الخاص؛ فـ ﴿قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف/ ٢٨).

اللافت أن بعض الناس في إشارة إلى هذه الآية يتحدثون عن فتنة وخداع جميع النساء، بينما تقول الآية إنها كلمة عزيز مصر وليست انعكاساً للوحي الإلهي وحقيقة مكانة المرأة عند الله.

إنّ هذا النوع من إطلاق الكلام الذي لا يقوم على العقلانية، لا يمكن أن يصدر عن شخص يستطيع أن يركز ويتحكم في أعصابه ونفسيته، لذلك يمكن للمرء أن يرى بحق الاضطراب النفسي للأسرة في هذه القصة التي يشاهد فيها خيانة زليخا. ولكن لماذا تعيش الأسرة في مثل هذا الاضطراب، فيمكن ذكر البعض من الأدلّة بناءً على هذه السورة:

الأوّل: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ (يوسف/٢٣)

لم يكن هذا البيان بداية القصة. بمعنى آخر، على الرغم من أن الخيانة الناجحة يمكن أن تكون مزعجة لراحة البال، فيجب في البداية أن نبحث عن دليل وقوع الخيانة ولماذا يتم القيام بها على الإطلاق؟

كقاعدة عامة وبناءً على التقرير الذي يقدّمه القرآن الكريم للدفاع عن يوسف، ينص بصراحة على أن الغرض من متابعة قضيته قبل دخوله القصر وتفسير حلم الملك هو تنقية ثيابه فيقول: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف/ ٥٢) إنّ هذه الملاحظة تزيل الخيانة من ثياب يوسف بشكل غير صريح، وبما أن القصة لا تزيد عن جانبين، فإنها تربط فكرة الخيانة بالجانب الآخر من القصة، كما تشير إلى النقطة الدقيقة

وهي: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف/ ٥٣).

يمكن للجمع بين هذين الافتراضين القرآنيين تتبع السبب الرئيسي للخيانة في اتّباع الهوي والرغبة الجسدية. بعبارة أخرى، وإن كان الشعور بالانتقام والفقر والتعاسة والمنافسات الجسدية الشيطانية وما شابه ذلك من عوامل الخيانة، إلا أن على رأس قائمة هذه العوامل إنّ اتّباع النفس المدمر أو الاستسلام للشيطان، هو السبب الأساسي، العامل الأكثر تدميراً بؤرياً لبناء القوي للأسرة وانهيار راحة البال التي تحكمها.

الثاني: إضافة إلى هذا العامل، يذكر القرآن الكريم عاملاً آخر، ويعتبره مهماً جدّاً في الخيانة، وهو عدم الصدق والأمانة. حيث تنسب زليخا / زوجة عزيز مصر الخيانة لنفسها وتنسب الصدق إلى يوسف: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف/ ٥١).

يذكر القرآن الكريم الصدق كصفة للمتقين (البقرة/ ١٧٧) وتوجد هناك علاقة معاكسة بين الصدق والكذب (النمل/ ٢٧ والعنكبوت/ ٣) وبين طرفين في نزاع يمكن أن يكون أحدهما أمين في دعواه (يوسف/ آيه ٢٦)؛ لأنه من الواضح أن كلا طرفي النزاع يمكن أن يكونا من الكاذبين. حيث لا يرى مفهوم الصدق مقصوراً على الرجال أو النساء، بل يطلق عليه كصفة مشتركة لجميع المؤمنين من الرجال والنساء. (الاحزاب/ ٣٥). وفي مواجهة أخرى يقارن بين "الصدق" و"النفاق". (الاحزاب/ ٢٤)، حيث أنه يضع التقوى والأمانة على طاولة واحدة، ومن الواضح أن الإيمان والتقوى يجلبان الصدق ويجلبان السلام والطمأنينة وليس القلق والاضطراب، وفي أسرة عزيز مصر لعدم حضور المفاهيم المقدسة كالإيمان والتقوى من جهة، واتباع هوي النفس من جهة أخرى، قد يضيق الهم والقلق مساحة الراحة والطمأنينة.

إن الإمعان بدقة في هذه النقطة يمكن أن يسلط الضوء بشكل كبير على الدور التحضيري للمرأة في تجميل المرأة وتزيينها لتدمير سلام الأسرة، حيث تتبرّج زليخا للغرباء وبهذا تزعج سلام الأسرة. إذا تم هذه الزخرفة والتبرّج لإجتذاب نظرة شخص غريب أو في أماكن مختلطة من الرجال والنساء، فيكون هذا الأمر بلا شك بدايةً للانحراف وانهيار سلام الأسرة.

إنّ الفقرة الأولى والدليل الأوّل أي: "وراودته التي هو في بيتها" ولكن يمكن أن يتخذ شكلاً محايداً من جهة، ولا يعتبر معيارياً ولا غير طبيعي؛ لأنه يقول أن يوسف كان في بيت زليخا. ولكن التفكير في هذا العبارة التي تبدو محايدةً يمكن أن يرشدنا أيضاً في التعامل مع أسباب الاضطرابات في الأسرة. كان يوسف في بيت زليخا / زوجة عزيز مصر: ((هو في بيتها)).

والسؤال الذي يطرح هنا هو الآن لماذا ينوي القرآن تسمية المنزل ببيت زليخا وليس بيت عزيز مصر؟ أليس أن عزيز مصر قد اشترى يوسف وأعاده إلى البيت؟ فكيف فجأة سمي هذا المنزل ببيت زليخا؟

نستطيع أن نتصوّر لهذه العبارة تفسيرات وبعض الإفتراضات:

التفسير الأول هو أن البيت لا يُقصد به أن يكون بيتاً مادياً ولا يطلق على الجدران الأربعة، بل البيت هو قلب زليخا، أو بعبارة أخرى تلك الرغبات ونفسيّات زليخا. كانت زليخا قد وضعت يوسف في بيت قلبها. فقال القرآن في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (نساء/ ١٠٠).

في بعض التفاسير والتأويلات العرفانية، لا يكون معنى الآية في هذه الآية هو البيت السكني الذي يسمى بيت النفس. (امام خميني، ١٣٨٦: ٣٠٠)، لذلك يمكن أن يكون التفسير هو قلب زليخا والبيت هو نفس زليخا الذي عاش فيه يوسف. يقول حافظ، مشيراً إلى هيام زليخا بيوسف (الحب) واستقراره في قلبها و ((بيت النفس)) الذي يقول:

من از آن حسن روزافزون كه يوسف داشت، دانستم

كه عشق از پرده عصمت، برون آرد زليخا را حافظ/غزل٣)

في الواقع، إنّ هذه المودة والحب وإقامة يوسف في بيت القلب، تسببت في فضيحة زليخا وخيانتها.

وجدير بالذكر أن بعض المفسرين اعتبروا اسم زليخا، رائيل و مفردة زَليخا (بفتح الزاء و كسر اللام) بمعني الجمال وصفة لهذا الاسم. (سودي بسنوي، ١٣٩٥، ج ١: ٣٨)

والبعض الآخر اعتبروا زليخا رمزاً للنفس الأمّارة (ضرابيها، ١٣٩٠: ٢٤٥).

والتفسير الثاني هو أن معنى البيت هو غرفة نوم زليخا الخاص بها. إذا كان الأمر هكذا، فإن هذه التسمية تكون جزء من الكل، كشخص يقوم بتصليح نافذة في منزل ويقول، "أنا أصلح المنزل." كان مهجع أو غرفة نوم زليخا جزءًا من القصر والمنزل، وإطلاق البيت عليه يشبه المثال الذي ذكرناه في ما سبق. والسؤال الآن لماذا لا تدع زليخا الرجل الأجنبي في مطبخ القصر أو بداخله، بل تسحبه إلى غرفة النوم الخاصة؟ يحتوي هذان التفسيران على نقاط سلبية ويعكسان الشذوذ في الفقرة الأولى.

التفسير الثالث: منذ نشأ يوسف في هذا البيت كما في الآية السابقة: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ (يوسف/ ٢٢) إنه يشير إلى أنه في هذا النمو، وخاصة إشباع الحاجات العاطفية في غياب الأم ودور زليخا الذي لا يمكن تجاهله في الإشراف على هذه الأمور، فقد تسببت أن يطلق القرآن الكريم على بيت عزيز مصر (في نفس المعنى المادي وفي الاستخدام المناسب للفظ) بأنّه بيت لزليخا. وهذا التفسير يحتوي على النقطة الإيجابية في تقدير المرأة، وبناء على ذلك فإن البيان الأول لن يحتوي على شذوذ.

التفسير الرابع أن البيت له نفس المعنى المادي وأنّ اللفظ يطابق على المعني المستخدم، لكن القرآن الكريم يريد أن يتهكم بعزيز مصر ويسخر منه وجميع الرجال الذين يتصرفون مثله وهم غافلون تماماً عما يدور في البيت وهم مسؤولون عن تنظيم شؤون الآخرين خارج البيت. يعتبر البيت ملكاً للرجل، ولكن إما بسبب غياب الرجل لمدّة طويلة أو إحجام المرأة عن هيمنتها تسبب أن يفقد الرجل السيطرة على المنزل والتحكم به والمرأة تأخذ أمور البيت كيف تشاء. ولما كان الأمر كذلك، فكأنّ المنزل كان بيت زليخا وليس بيت مصر العزيز. إنّ إضافة عبارة ((وغلفت الابواب)) هي إشارة وكناية عن البيت الذي كانت زليخا مسؤولة عنه، فإنّ غرفة النوم تحتاج إلى باب واحد بدلاً من الأبواب، فإنّ ذكر الأبواب يدلّ على أنّ لفظ البيت هنا قد استخدم بمعناه الذي وضع له. وبناءً على هذه النقطة، فإن عدم تحكم الرجل بالبيت والأسرة قد أدى إلى انزلاق المرأة، ووقوع الخيانة، وانهيار العفة، والهدوء النفسي للأسرة في نهاية المطاف.

بصرف النظر عن موضوع اتباع الهوي والصدق، والذي أحدهما يسبّب الإزعاج

والآخر يجلب الدعة والهدوء، إنّ القرآن يقدم وصفاً لحقيقة يمكن أن تساعد في تحديد سبب القلق في أسرة عزيز مصر. هكذا يعبّر القرآن الكريم عن هذا الأمر: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف/ ٢٣).

يمكن تحليل أجزاء هذه الآية على هذا النمط:

الأول. كان يوسف في بيت زليخا / إمرأة عزيز مصر؛

الثاني. كانت إمرأة عزيز مصر قد زينت نفسها؛

الثالث. لقد قامت إمرأة عزيز مصر بتزيين نفسها من أجل يوسف فقط؛

الرابع. قد أغلقت إمرأة عزيز مصر أبواب البيت؛

الخامس. طلبت إمرأة عزيز مصر من يوسف أن يراودها.

إنّ الفقرة الثانية والرابعة، لم تكن قبيحة لا في العقل ولا في الشرع، أي أن تقوم المرأة بتزيين نفسها وفي حالة عدم حضور زوجها (الذي كان عزيز مصر) أن تقوم بإغلاق أبواب البيت. إنّ إغلاق أبواب البيت في حالة عدم حضور الزوج، يجلب الأمان للمرأة. ويشار إلى الزينة على أنّها طابع ذاتيّ للمرأة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ (زخرف/ ١٨) كما يوصى بها للنساء (خاصة عندما يكونن عند أزواجهن). فإن هذين الفقرتين من الفقرات الخمسة التي قمنا بتحليلها تعتبر من الحالات الطبيعية.

وأمّا الفقرة الثالثة والخامسة، هي بلا شك أكثر الافتراضات المضادة للحالات الطبيعية المذكورة. أن تجلب امرأة نفسها إلى شخص غريب وفي الخطوة التالية تطلب منه أن يراودها.

ويعكس القرآن الكريم، بصورة مميزة جدا وربما مستترة دور الزينة في حضور الرجال الأجانب وغير المحارم في ظهور الزنا. بمعنى آخر: لزينة النفس الأنثوية - كما سبق وصفها - دور تحضيري للدخول في الفسق، وكل النصائح القرآنية تؤكد على تجنب مكثل هذا الأمر وتستره في التجمعات المختلطة حفاظاً على حرمة العفة وحماية المرأة وحراستها. والحقيقة أن الشيطان يغري، ليس بشكل مثير للاشمئزاز، بل تدريجياً وخطوة بعد خطوة، فيتيح

مكياج المرأة للأجانب أولاً، وفي ضوء ذلك يبرر تكوين العلاقة.

٤. أسباب الهدوء

وجدت عائلة يوسف الهدوء والسلام أخيراً؛ السلام الذي كان مصحوباً، من جهة، بانتهاء فراق والده، ومن جهة أخرى، بعفو يوسف، الذي قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (يوسف/ ٩٢) ومن جهة أخرى باستغفار الوالد لأبناءه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ (يوسف/ آيه ٩٨) التي ركزت على ندم الأبناء واستغفارهم: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف/ ٩٧).

لذلك، يمكن تدوين علامات الهدوء في الأسرة في هذه القصة على النحو التالي:

٤-١. التعبير عن الندم على الخطأ والتعويض عنه

شعور الإخوة بالندم على الخطأ. وهذا يدل على أن العناد والإلحاف على الخطأ لا طائل من ورائه ويزيدان ويوسعان نطاق الضغائن والاستياء فحسب. ولكن عندما يعترف المخطئ بخطأه الذي أزعج سلوكه راحة البال للأسرة، يمكن للمرء أن يأمل في التعويض ورأب الصدع. في هذه القصة ما اعترف بخطيئته طفل أو عصبة من الرجال، بل كانوا أشخاصاً كبار السن الذين ذاقوا حلو الحياة ومرارته لسنوات ومرّ عليهم زمناً بعيداً، وهذا دليل على قبول الخطأ لجميع الأشخاص وفي أيّ فترة من الحياة.

٤-٢. العفو والغض النظر لله

يواجه الناس أخطاء الآخرين بأشكال مختلفة؛ في غضون ذلك، هناك مجموعة تتماشي في مواجهة أخطاء الآخرين وتتجاهلها وتعفو عنها. في قصة إخوة يوسف في بداية السورة، يتعامل النبي يعقوب a أيضاً بهدوء وبحكمة مع أخطائهم، دون اتهام أي من أبنائه أو كشف أخطائهم لهم، ويجعلهم يستوعبون الدور اللاواعي لدوافعهم وميولهم السلبية الداخلية ويقول رداً عليهم: ((قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا صبر جميل والله المستعان على ما تصفون))؛ إنّ النبي يعقوب a لا يجيب السلوك القبيح والمثير للاشمئزاز لأبنائه بسلوك آخر قبيح ومثير للاشمئزاز، ولكنه يمنحهم الفرصة لإدراك خطأهم وانحرافهم والاعتراف به؛ ومن ثم يقول لهم: ((فصبر جميل)).

على الرغم من أنّ العفو عن الآخرين (الذي يلعب هذا الدور كل من يوسف ويعقوب في هذه القصة) يمكن أن يعوض عن بعض الانهيارات العاطفية الناجمة عن الخطأ، إلا أنه يسهل أيضًا ربط القضية بالروحانية والقداسة، مما يهدئ الأسرة ويبعدها من القلق، ولذلك يطلب الإخوة من والدهم أن يستغفر لهم. (زحيلي، ١٤١١ ق، ج ٧: ٧٣).

كما يقول يوسف في لقاء مع إخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ إنما يخاطب المخطئ المجرم بمثل هل علمت وأ تدري وأ رأيت ونحوها وهو عالم بما فعل لتذكيره جزاء عمله ووبال ذنبه لكنه a أعقب استفهامه بقوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ وفيه تلقين عذر. فقوله: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ مجرد تذكير لعملهم بهما من غير توبيخ ومؤاخذة ليعرفهم منّ الله عليه وعلى أخيه وهذا من عجيب فتوة يوسف a ، ويا لها من فتوة. (علامه طباطبايي، ١٣٨٧، ج١١، ٣٢٣).

٤-٣. احترام الوالدين

يلتقي يوسف بوالديه عندما يجد منصباً مشرفاً لدى ملك مصر. ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾؛ في الكلام حذف والتقدير فخرج يعقوب وآله من أرضهم وساروا إلى مصر، وقوله: ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ فسّروه بضمهما إليه، وقوله: ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ إلخ. ظاهر في أن يوسف خرج من مصر لاستقبالهما وضمهما إليه هناك ثم عرض لهما دخول مصر إكراما وتأدبا وقد أبدع عليه‌السلام في قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ حيث أعطاهم الأمن وأصدر لهم حكمه على سنة الملوك وقيد ذلك بمشية الله سبحانه للدلالة على أن المشية الإنسانية لا تؤثر أثرها كسائر الأسباب إلا إذا وافقت المشية الإلهية على ما هو مقتضى التوحيد الخالص. (علامه طباطبايي، ١٣٨٧، ج١١، ٣٣٧).

وقوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (يوسف/١٠٠) سواء أخذنا هذا الرفع بالمعنى الظاهري، أي أن يوسف وضعه بجانبه ووضعهم على العرش أو بالمعني الباطني؛ أي، بالكرامة التي اكتسبها يوسف، جعل والديه مكرمين أمام الجميع، وفي نفس الوقت كان يوسف يفقد والدته، وكانت زوجة أبيه هي التي أخذت لقب الوالدين مع يعقوب. هذا يدل على أنه

حتى في العائلات التي تعاني من وفاة أحد الوالدين، يجب احترام زوج الأم وزوجة الأب ويجب تقدير جهودهما وبهذه الطريقة يمكن للأسرة أن تعيش في الهدوء والسلام.

٤-٤. ذكر الله دائماً

إنّ الله سبحانه وتعالي هو الذي يمنح الهدوء والسلام، فإنّ اعتماد المرء على الآخرين وعلاقة الآخرين بالفرد لا يؤدي بالمعنى الحقيقي للكلمة إلى تحقيق الأمن والسلام الدائم. في قصة يوسف، قد وقع يوسف في البئر وأدخل السجن. مرة بسبب الأقارب والمعارف ومرة بسبب الأحبة أو من جانب زليخا التي كان غريبا بالنسبة لها. إنّ شدة الحسد والبغضاء عند الإخوة قد أحدثت مغامرات، وشدة الحب والحنان لدى امرأة أجنبية قد أحدثت ضجة، وبالطبع كان يوسف صبوراً في مواجهة هذه الأمور، فزينه الله بزينة الحكمة أو المعرفة والحكمة وهكذا وإن كان ليوسف حياة مضطربة في النضال، إلا أن النعمة والعناية الإلهية جعلت حياته مليئة بالفرح والسلام. (مستنصر، ١٣٩١: ٦٥).

إنّ أهم رسالة هذه السورة هو ذكر الله في الحياة، بحيث في ذروة القصة، عندما يكون يوسف في السجن، يعبر عنها بكلماته: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؟! (يوسف/٣٩-٣٨).

هاتان الآيتان تستندان إلى ذكر الله وذكره في ذروة القصة، عندما تعرضت الشخصية الرئيسة لأقسى التجارب، قد تبين أن في النظام التربوي للقرآن، يكون الاتجاه التربوي دائماً نحو التوحيد وعبادة الله. إنّ الشخص الموحّد يدخل إلى قلعة الأمان في ضوء التوحيد ويجد السكينة والطمأنينة، ولا تقلقه أو تزعجه أي حادثة. (جوادي آملي، ١٣٨٧: ٥٦٢).

تظهر كلمة ((ربي)) عشر مرات على لسان يوسف، وفيه إشارة إلى محبة يوسف لربه. هذا الحب الذي جعله لا ينسى الله للحظة. وبعد أن نهى عن عبادة الأصنام وجه انتباهه إلى الولاية الإلهية فقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ يقول العلامّة الطباطبايي: ((وهو أعني قوله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ مما لا ريب فيه البتة إذ الحكم في أمر ما لا يستقيم إلا ممن يملك تمام التصرف، ولا مالك للتصرف والتدبير في

أمور العالم وتربية العباد حقيقة إلا الله سبحانه فلا حكم بحقيقة المعنى إلا له)) (علامه طباطبايي، ١٣٨٧، ج١١، ٢٤٢).

٤-٥. التواضع والإحترام المتبادل

من مظاهر التعليم في سورة يوسف هو التواضع تجاه الآخرين. على الرغم من أنه أصبح رئيساً، إلا أن كرامته الظاهرية لم تمنعه من التواضع تجاه الآخرين.

عندما دخل والدا يوسف مصر مع الإخوة وسجدوا ليوسف، كان هذا السجود كمكافأة على صبر يوسف في مواجهة الحقد والحسد الذي ارتكبه إخوة يوسف ضده. عندما يأتي والديه وإخوته إلى سلطته، فإنه يعانق والديه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾؛ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾.

بالطبع الغرض من ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (يوسف/ ١٠٠) هو الإحترام والتواضع. لأن السجود كان الاحترام أمراً معتاداً لأهل ذلك الوقت، وهو أمر شائع في مصر وفلسطين (امام خميني، ١٣٨٦، ج ٤، ٨٢) والنتيجة هي أن التواضع قد يكون فعالاً للغاية في لم شمل الأسرة والتخلص من القلق ومنح الراحة. (رشيد رضا، ١٣٨٧، ج ١٢: ١٧٥).

نتيجة البحث:

تظهر مراجعة سورة يوسف أن الحسد الأخلاقي هو أحد الأسباب الرئيسة للأزمة والقلق في العوائل التي يمكن أن تعكس تعاسة الحياة وتسلب السلام من قلب الأسرة. ويتفاقم هذا الحسد بسبب السلوك غير الصحيح للوالدين تجاه أبنائهم، ويثير شعوراً بالتشاؤم والتآمر في أبنائهم. تظهر مراجعة هذه القصة أيضاً أن تذكر الله والعودة إلى الحقيقة والتوبة ومسائل روحية كهذا النوع قد تمنح الهدوء والسلام، على الرغم من أن بعض النواقص المادية تؤثّر أيضاً في خلق الأزمات والإضطرابات.

يبدو أن الحسد بين أفراد الأسرة، وعدم إنجاب الأطفال، وقلّة العلاقات الحميمة بين الزوجين، والخيانة والخداع بين الزوجين هي عوامل التي تزعج الأسرة وتزيل الهدوء والسلام، وبالإضافة إلى القضاء على هذه العوامل، إنّ ذكر الله دائماً، ومكافحة النفس

الأمّـارة، الإعـتراف بالنـدم علـى أخطـاء بعضـنا الـبعض، والتسـامح والعفـو عـن أخطـاء الآخرين، والتوبة والاعتذار إلى الله، واحترام الوالدين في أي موقف هي من أسباب هـدوء الأسرة واستقرارها.

أسباب عدم الهدوء	أسباب الهدوء
الحسد	ذكر الله دائماً
عدم انجاب الأطفال	مكافحة النفس الأمّارة
لّة العلاقات الحميمة الخيانة	العفو عن أخطاء الآخرين التوبة من الذنوب
عدم الصداقة	احترام الوالدين

هوامش البحث

(١). عُصبه من الناحية الكمية ما يصل عددهم من العشرة إلى ٤٠ شخصًا، ومن الناحية النوعية ، فإنها المجموعة أ) القوية ؛ ب) يساعد كل منهما الآخر في العمل ، ج) ويسعون وراء هدف مشترك (جعفري، ١٣٧٦، ج ٥،: ٣٤٧).

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. نهج البلاغة، سيد رضي، تحقيق صبحي صالح، بيروت، دار الكتب، ١٩٦٧م.

٢. الإمام الخميني، سيد روح‌الله، تفسير قرآن مجيد، برگـرفته از آثار امام خميني، تهران، عروج، چاپ دوم، ١٣٨٦.

٣. الإمام الخميني، سيد روح‌الله، تفسير و شواهد قرآني در آثارامام خميني، تهران، مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خميني، ١٣٨٩.

٤. ايجي شيرازي، محمد بن عبدالرحمن، جامع البيان في تفسير قرآن، پاكستان، لاهور، ١٨٧٩م.

٥. باجوي، جمال محمد، المرأة في الفكر الاسلامي، الامانة العامه للشقافة الشباب، موصل، جامعة الموصل، ١٣٩٦.

٦. ثقفي تهراني، ميرزا محمد، روان جاويد در تفسير قرآن مجيد، تهران، برهان، ١٣٨٦.

٧. الجزايري، جابر، ايسر التفاسير للكلام العلي الكبير، المدينه المنوره، مكتب العلوم و الحكم، ١٤٢٤ق.

٨. جعفري، يعقوب، تفسير كوثر، قم، مؤسسه انتشارات هجرت، ١٣٧٦.

٩. جوادي آملي، عبدالله، تسنيم (تفسير قرآن كريم)، قم، اسراء، ١٣٧٩.

١٠. الجوهري، اسماعيل بن حماد، صحاح اللغه، محقق احمد عبد الغفور، بيروت، دارالعلم، للملابين، ١٤٠٤ ق / ١٩٨٤ م.

١١. حافظ، خواجه شمس الدين محمد، ديوان حافظ، به تصحيح قاسم قزويني، تهران، چاپخانه مجلس، ١٣٢٠.

١٢. الراغب الأصفهاني، ابوالقاسم، مفردات الفاظ القرآن، نحف بن صفوان، عدنان داوودي، دمشق و بيروت، دارالقلم و دارالسايه، ١٤١٢ ق.

١٣. رشيد رضا، محمد، تفسيير القرآن، الشهير بالمنار، قم، جامعه المصطفي، ١٣٨٧.

١٤. زحيلي، وهبه، التفسير المنير في العقيده و التشريع،، ج ٧، دمشق، دار الفكر، ١٤١١ ق.

١٥. سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت، دارالشروق، ١٤٠٨ ق.

١٦. السيوطي، جلال‌الدين، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابولفضل ابراهيم، قم، فخرالدين، ١٣٨٠.

١٧. السيوطي، جلال‌الدين، الدرر المنثور، بيروت، دارالكتب العلميه، ١٤٢١ ق.

١٨. شرفي، محمدرضا، خانواده متعادل، تهران، انجمن اولياء و مربيان، ١٣٩٣.

١٩. صفري، محمدرضا، ترجمه قرآن براساس تفسير الميزان، قم، دفتر نشر معارف، ١٣٨٨.

٢٠. ضرابي‌ها، محمد ابراهيم، از دولت حافظ، تهران، كليدر، ١٣٩٠.

٢١. الطباطبايي، سيد محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسه الاعلمي، ١٤١٧ ق.

٢٢. الطباطبايي، سيد محمدحسين، تفسير الميزان، مترجم سيد محمدباقر موسوي همداني، تهران، اميركبير، ١٣٧٨.

٢٣. المجلسي، محمد باقر، بحارالانوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣ ق.

٢٤. محمدحمزه، محمود و همكاران، غايه البيان في تفسير القرآن الكريم، قاهره، دار المعارف، ١٣٧٣ ق.

٢٥. مستنصر، مير، ((كنايه در قرآن؛ تحليل داستان حضرت يوسف a))، سايت راسخون، مترجم ابوالفضل حري، ٩ آبان ١٣٩١.

٢٦. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تهران، مؤسسه چاپ و نشر وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي، ١٤١٦ ق.

٢٧. مكارم شيرازي، ناصر، تفسير نمونه، تهران، دار الكتب الاسلاميه، ١٣٧٦.

٢٨. منتصر، عبدالحليم و همكاران، فرهنگ المعجم الوسيط، مترجم محمد بندريگي، قم، دفتر انتشارات اسلامي، ١٣٩٢.